مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 04، ديسمبر 2022، صص: 271- 284

تاريخ الاستلام(2022/07/01)تاريخ القبول (2022/12/08)تاريخ النشر (2022/12/30)

أنساق المابعد والانحراف نحو بويطيقا الثقافة

Post-modern Systems and Deviation towards the Poetics of Culture

نجاح يوسف[1] ديبح محمد[2]

مخبر الخطاب الحجاجي، أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر

[1] جامعة ابن خلدون، تيارت (الجزائر)، youcef.nedjah@univ-tiaret.dz

[2] جامعة ابن خلدون، تيارت (الجزائر)، Moha-debih@yahoo.fr

ملخص:

تروم هذه الدّراسة لملمة النثار والتشظّي من مقولات النسق الثاوية في المدونة النقدية، كما سنعرّج في جُزئية لاحقة على تمثُّلات التحليل الثقافي/ الشعريات الثقافية، في الفكر النقدي المابعد حداثي، والنبش في أنساقه قصد التعريض للمُمارسات القرائية الحفرية التقويضية التأويلية الفاعلة في كشف التمثيلات الثقافية المتوارية في البنى النصية.

كلمات مفتاحية: أنساق المابعد؛ بويطيقا الثقافة؛ التمثيلات الثقافية؛ القراءة الحفرية التقويضية التأويلية؛ التحليل الثقافي

Summary:

This study aims to gather the dispersion and fragmentation from the system sayings residing in the critical code, as we will review in a later part the representations of cultural analysis / cultural poetics, in postmodern critical thought and digging in its systems in order to expose to the effective interpretive undermining excavating practices in revealing cultural representations hidden in textual structures.

Keywords: post-modern systems; poetics of culture; the interpretive undermining fossilized reading; cultural representations; Cultural Analysis.

المؤلف المرسل: نجاح يوسف ،الايميل: nedjah@univ-tiaret.dz

- مهاد:

يلوح أنّ الإشاحة عن الممارسات القرائية النسقية بسيروراتها المنهجية، وتحوّل الرؤية النقدية نحو بويطقا الثقافة/ التاريخانية الجديدة، رَوْم تأويل البنى الثقافية، لم يكن فَيْئة انكفائية إلى مناهج الماقبل، ذلك أنّ التحليل الثقافي يقوم على رؤية تجاوزية لتلك التفاسير السياقية التقليدية بالارتكان إلى أنساق المابعد في تعرية مُضمرات الخطاب/ النص. فهل اقتدرت الممارسات القرائية المابعدية تشتيت المتخيل الثقافي بمحمولاته النسقية؟ أم مازال فك شيفراته الثقافية لَبِكاً عصياً على المساءلة التأويلية التقويضية؟

1- أنساق المابعد والتحولات الفكرية/ طرح جوهر العلاقة بالآخر:

للانعتاق من النموذج الحداثي السديميّ الفلوت الذي هيمن على الفكر الغربي ردحاً من الزمن، تصدّر المشهد الثقافي حركة فلسفية انشقاقية ريبية تنزع إلى تقويض الثوابت الثقافية/ السرديات الكبرى، تُسمّى؛ (ما بعد الحداثة/ Post modernisim).

ولعلّ هذا النسق الفكري الجديد شكلٌ من «أشكال مذهب الشك الفلسفي»[1]، فكلّ «شيئ أصبح زئبقياً رجراجاً قابلاً للنقض»[2]، وكأنّ التاريخ قد أضاع الاتجاه وارتدّ إلى الفوضى»[3]، ومن الممكن اعتباره «مُحاولة لتعرية المنطق الذي يصون قوة نظام محدّد من الفكر»[4] وجُزءاً من رد الفعل على الأيديولوجيات السلطوية وازدرائها بتجلياتها العديدة[5] لخلخلة التشرنق الغربي في الدّائرة المتعالية، ههُنا تشكلت ظلال التحليل الثقافي Cultural Analysis المنكفئ على تعرية الأنساق المتضادة؛ التابع/ المتبوع، لندح المجال للنّسق الهامشي ورفع الحيف عنه.

1.1- الحداثة ومابعد الحداثة/ سديمية المصطلح وغموض التصوّر:

نتلمّس في هذه الجُزئية توضيح نُقطة يجب الوقوف عندها قبل مُواصلة السير، ويتعلّق الأمر بتصنيف اتجاهات "الحداثة وما بعدها"، إذ يستخدم البعض كلمة "حداثة" Modernisim بصفة العموم فتشمل كُلّا من البنيوية واستراتيجية التفكيك، وتستند هذه النظرة على أساس أنّ هذه الأقطاب النقدية جاءت مُناهضة للنقد السياقي، وما يُسمّى "مابعد الحداثة" ليس سوى نقد ومُراجعة للحداثة، ومُحاولة لتجذيرها الأبدي، ومن جهة أُخرى هُناك من يعتقد بأنّ مُصطلح "ما بعد الحداثة" يُعبِّر عن مرحلة مُناهضة للمفاهيم التي قامت على أساسها مرحلة "الحداثة" ذلك أنّ هذه الأخيرة تستند على العلم التجريبي والعقل الأداتي، بخلاف اتجاهات ما بعد البنيوية/ Post structuralism، التي قامت على أساس تقويض (اللوغوس/ Logos) وهم يستندون في ذلك على فلسفة الشك التي ترى الحقيقة وهماً من الأوهام التي أقرّها اللوغوس حتّى يُحافظ على ثباته[6].

ويذهب عبد الغني بارة Abdelghani Bara - في مُؤلّفه الموسوم بـ؛ إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر – إلى القول بأنّ: «استحالة وجود تعريف للحداثة...يوحي بأنّ

الحداثة وإن قُسمت إلى حداثتين فإنّها في الأخير تظل حداثة واحدة»[7]، بيد أنّه «من خلال المناقشة يتّضح أنّ...مُصطلح (ما بعد الحداثة) يُعبّر حقيقة عن مرحلة مخالفة لمرحلة الحداثة»[8].

2.1- سجن العدمية/ التيه والضياع:

إنّ المُتتبّع لحركة النقد الأدبي في مسيرة ارتحاله وتحقيباته يُدرك بأنّ الفكر الفلسفي الغربي الذي تغذّت على مقولاته أقلام نقدية فاعلة في تشكيل الخطاب النقدي في مرحلة المابعديات إنّما هو «وجه آخر من وجوه أزمة الفكر الغربي»[9]، وهو ضرب من الضياع والعبثية والتشتّت والتفتّت والتشظّي واللّايقين ورفض الثوابت ونقضها وتقويضها[10].

واستحالة الرؤية النقدية نحو أنساق المابعد «تحوّل من النقيض إلى النقيض، من سلطان العقل والتجريب إلى سجن الشك والعدمية»[11].

يثبت الاقتران الاعتسافي بين؛ الدال/ المدلول، بأفول الرابط الحتمي وثُبوت العدول اللّساني بحسب سوسير F.De Saussure الذي عكف في سعي دؤوب على إثبات الاعتساف الاقتراني بدل التلازم الدلالي الذي قال به بنفينيست Benveniste وأضرابه، بيد أنّ التفكيك ينزع إلى فك وتقويض الحالة التلازمية بين الدّال ومدلوله، ويُعطي هذا الأخير «حُرّية اللّعب الكامل، مُنفصلاً عن الدال»[12]، فيبث الفوضى في قلب الخطاب المستتب، وهكذا يكون المعنى مُنتشراً مُبعثراً مُؤجلًا إلى آخر وذاك لآخر مُنتظراً في نوعٍ من الترجرج بين الحضور والغياب[13].

فالاستراتيجيّة التي توصّل إليها دريدا من التفكيك؛ هو أنّ الدّال وهو يبحث عن مدلوله لايعثر عليه، فيتحوّل بدوره هو الآخر إلى دالٍ يبحث عن مدلوله، وهكذا تبقى الدوال لُعبة دون الوصول إلى معنى، ولعلّ هذا ما اطلح عليه (الدلالة المتعالية)[14].

هكذا ينسف المفهوم التفكيكي للعلامة –القائم على فلسفة دريدا التأويلية - العلاقة بين الدال والمدلول، وتحويل المدلول إلى شيئ مُراوغ يصعب الإمساك به وتثبيته في نطاق دلالة مُحدّدة، ليلج في نهاية المطاف عالم الفوضى/ التأويل اللّانهائي/ إرجاء الدّلالة، في رفض صريح لميتافيزيقا الحضور، حتّى يجد نفسه حبيس سجن أخطر، أدهى وأمرّ، ألا وهو سجن التيه والضياع[15]

2- القراءة الأيديولوجية/ التقويضية التأويلية، ومُساءلة النصوص الأدبية:

يأتي اجتراحنا لمصطلح التحليل الثقافي بتعددية مفاهيمه واصطلاحاته؛ بويطيقا الثقافة/ الشعريات الثقافية/ التاريخانية الجديدة، في سياق طروحات فاعلة في تشكيل الخطاب النقدي في مرحلة المابعديات، ومُقترباً تحليلياً ناجعاً لاكتناه لُغة الماوراء والكشف عن التمثيلات الثقافية الموارِبَة المتوارِية في البنى النصية[16]، ومن الدّال جداً الإشارة إلى أنّ النقد الثقافي Cultural Critisicsm «لا يعدو أن يكون قراءة آيديولوجية»[17] تستوجب تكوين جهاز معرفي شُمولي مُتكامل لتأويل الأنساق الثقافية في بنية النص الأدبي[18].

تُعد المعالجة الإجرائية (التأويلية Heremneutics) التقويضية، التي يرتكن إليها التحليل الثقافي/ التاريخانية الجديدة، أُسّاً فاعلاً في اكتناه عوالم النصوص الأدبية، وسبر غورها لتعرية مُضمراتها/ ماوراء الجمالي، وذلك بتقويض وتفكيك بنية النص الأدبي بوصفه مكمناً للأنساق الثقافية المضمرة التي أفرزتها السياقات التاريخية التي كانت مهدورة زمن القراءة النسقية.

1.2- التاريخانية الجديدة واستراتيجية التفكيك التأويلية/ التعالق المعرفي:

إنّ الغوص في جوف النصوص الأدبية لاكتناه لُغة الماوراء/ المضمر النسقي، كان يستدعي مفاهيم تتّسع ومُتطلّبات هذا الغوص، ممّا دأب بروّاد التحليل الثقافي، إلى استثمار الطاقات الكشفية ابتغاء بُلوغ النواة والخوض في المناطق الأكثر عُمقاً، ويقترن الكشف بالتفكيك deconstruction، الذي يدعو إلى تشريح البنى العميقة للنص لاستخلاص المعنى الضمني[19].

والحديث عن التفكيك يعود إلى مارتن هايدغر Martin Heidegger، الذي حاول «تعرية الفكر الغربي والنبش في أنساقه قصد الوقوف عند الجذور الأولى التي كان عليها مفهوم العقل عند الحكماء الطبيعيين قبل أن يتغيّر مفهومه عند أفلاطون وأرسطو، حتّى يتسنّى له تقويض العقل الغربي...وزرع الشك في كل الخطابات الفلسفية من خلال فلسفته التأويلية»[20].

وقد بدى النقد التفكيكي مُميّزاً مع الفيلسوف جاك دريداJ.Derrida، الذي يُعزى له الفضل في تبنّي المصطلح واستثمار آلياته[21] انطلاقاً من «تأويل الأعمال واستخراج مدلولاتها "العميقة" التي عادة ماتكون مُعاكسة لما يُعلن عنه خطابها في الظّاهر»[22].

تُهيّئ استراتيجية التفكيك القاعدة التي تنهض عليها الممارسات القرائية الثقافية/ التاريخانية الجديدة، في تعرية مُضمرات الخطاب، ذلك أنّ النبش في السياقات التاريخية المُنصهرة في وَهْدَة النصوص الأدبية طابع الاتّجاه التفكيكي في تشريح النصوص وتقويضها، وذلك مايُؤكّده دريدا بقوله: «أوضحت مراراً وتكراراً أنّني تاريخاني بصورة كاملة، وأنّ مايُهمّني دائماً هوالانحدار التاريخي لجميع المفهومات...وأنّه إذا كان هناك شيء لايُمكن نسيانه فهو التاريخ»[23].

والمُتأمّل في الجُزئية الآنفة الذكر، يُوقن بوضوح ماهية الوشيجة العلائقية للممارسة الحفرية التقويضية التشريحية/ التفكيكية، بالقراءة الثقافية/ التاريخانية الجديدة، التي تقوم على رُؤية تجاوزية للمُقاربات النقدية؛ السياقية/ النسقية، «باسم فكر آخر للتاريخ»[24]، أي ضدّ التاريخ باعتباره معنى من المعاني أو قيمة من القيم»[25]، وقد أشار دريدا أكثر من مرّة إلى أنّ «منهجه ظلّ على الدوام مُتربصاً بكل أنماط التصوّر الميتافيزيقي للتاريخ»[26].

2.2- التحليل الثقافي وطبيعة المعالجة الإجرائية لفكرة الهيمنة:

في ظل التحولات النقدية التي شهدتها مرحلة المابعديات بدا طرح جديد واتّضحت ملامحه في كتابات ثُلّة من النقدة، لعلّ ستيفن غرينبلات ذُؤابتهم، وقد وسمه هذا الأخير بـ: بويطيقا الثقافة/

الشعريات الثقافية/ التاريخانية الجديدة، بيدأنّ الوسم الإجرائي الدارج لهذا المنزع هو؛ التحليل الثقافي.

تبرز طروحات ستيفن غرينبلات Stephen Greenblatt (ولد عام 1943) علامة فارقة في سياق الدراسات الثقافية Cultural Studies، فهو أوّل من قال بمصطلح التاريخانية الجديدة New Historicism في بداية الثمانينات، وبالضبط عام 1982 بعد أن هجر الشعريات الثقافية/ Cultural Poetics، التي قال بها سنة 1980، ليعود لهذه الأخيرة عام 1988 بعد أن كانت الأولى في طليعة المفاهيم الأثيرة له[27].

تتموضع كلٌ من المصطلحات التي جيئ للتو على ذكرها في ذات الدّائرة التي وجدت «مُرتكزها في مفهوم الخطاب والسلطة عند فوكو»[28] فاجتراح غرينبلات لهذه الممارسة سينصبّ على الأشكال السلطوية والتمايز الثقافي والصراع بين الطبقات الإجتماعية[29] كالصّراع بين المركزي والهامشي (الأنا - الآخر)، والذكوري والأنثوي، ومفهوم الخطاب والسلطة، وآليات القمع السلطوي، وهيمنة الأنساق الثقافية»[30]، ومن ثمّ تحليل طرائق وأساليب «إنتاج الخطابات وآليات تشكُّله من قبل السلطة التي تُسيّر كل التجارب الإنسانية في الوقت الذي تتُوق فيه هذه السلطة إلى فكرة الهيمنة»[31] Hegemony، ويُمكن مُناقشة هذه الأخيرة من خلال تكوين تصوّر مفاهيمي حول نسقين فكريين مُتصادمين، هما؛ نسق المركزي/ نسق الهامشي، بحيث يجنح الأول إلى تشكيل مركزيّته وفرض أنساقه بفعل القوة وتكريس مفاهيم سلطوية عبر الهيمنة على النسق المضاد/ الهامشي، بوصفه مُهمشاً ومُشوهاً في آن[32]، ولعلّه كان للممارسات القرائية المابعدية - ذات البعد الثاني - بالغ الأثر في تأليب الوعي بالذات لمواجهة الآخر.

وهكذا نُدرك بأنّ جوهر التعالق بين هذه الممارسات؛ التحليل الثقافي/ التاريخانية الجديدة/ الشعريات الثقافية، ماثل في النبش عن النتاجات النسقية الأيديولوجية وليدة السياقات التاريخية، «وقراءة الشفرات الثقافية المتناقضة»[33] انطلاقاً من فكرة الهيمنة ذاتها»[34].

3- خطاب الحركة المابعدية/ أفول الذات سديم الآخرية:

لاشكّ أنّ الممارسات القرائية الثقافية/ التقويضية التأويلية - التي كُتب لها المعاد في مرحلة المابعديات - أحدثت شرخاً في الدّائرة المتعالية/ التمركز الغربي، ما أنتج كتابات مُناوئة تجنح إلى الولوج في سِنْخ الدّائرة المضادّة للانعتاق من قيود الآخرية.

ففي غمرة التشظي الذي وسم زمن المابعد لاح تيّارٌ كُبَاء راح يتبلور تحت ظل مايُسمّى؛ (الحركة المابعدية)، والتي كانت بمثابة المهاد الفكري الذي انطلقت منه جُل الدّراسات الثقافية، ولعلّ أهمّها ماثل في الثلاث الآتية؛ ما بعد الكولونيالية/ ما بعد الإستشراق/ ما بعد النسوية.

1.3- ما بعد الكولونيالية/ شبح الآخر:

وسم ثقافة المحيط/ الهامش، تفتّت وتشتّت مُذْ وَرِمَ المستعمِر مَجْثم اللّاأنا، والذي ترك شَيّة لم تتوارى بأفول آثار الاستعمار، وقد تمخّض عن هذا كلّه «آثار أدبية وثقافية وفكرية مُعاصرة»[35] موسومة بـ: (الخطاب ما بعد الكولونيالي Post-Colonialism).

في ظل توالي الأفكار الكولونيالية الآسرة والمدمّرة...لفرض السلطة بكل السبل»[36]، دأب الرد المضاد/ ما بعد الكولونيالية، إلى تفكيك وتقويض الخطاب الامبريالي، ليُعبّر عن حراك ثقافي ونفسي فيه حسرات وآلام ضحايا ومآسي الحروب، وإثارة الوعي بالثقافات المتهالكة التي أُريد لها أن تندثر[37].

علّ الفضل في ظهور هذا المصطلح يعود إلى فرانتز فانون Frantz Fanon أولاً، وبعده إدوارد سعيد، Edward W. Said سِيما في كتابه: (الاستشراق) والذي شفّعه بمُؤَلّف آخر، هو: (الثقافة والامبريالية)، بل ولعلّه من لفت النظر إلى المصطلح، وبهذا يكون المؤسس الحقيقي لهذا الحقل الفكري[38].

وتنطلق نظرية الخطاب ما بعد الاستعماري «أساساً من عمل إدوارد سعيد الذي حاول أن يصهر الخطاب عند فوكو وفراتنز فانون في حوصلة الكتابات السياسية لأنطونيو غرامشي»[39] وقد استخدم فانون وأضرابه «نظرية التحليل النفسي لوصف مفهوم الآخرية عند المستعمر، عندما يُفكر في المستعمر ويتعامل معه، ووصفوا الاستعمار بأنّه اختلال مرضي على مستوى دولة بكاملها، ويُمكن أن نعدّ...هومي بابا...من أبرز النقّاد الثقافيين لهذا الخطاب»[40].

وقد خلُص سعيد إلى أنّ كُلًّا من فانون وفوكو M.Foucault كان معارضاً - على اختلاف أصولهما - من خلال التطرّق إلى أنظمة التقييد والإقصاء، بيد أنّ كتاب فانون هو الأقوى بالمقارنة مع كتاب فوكو، لأنّه مُتجذّرٌ في ديالكتيك النضال/ الثورة الجزائرية، والتحرير والتغيير الثوري، بخلاف فوكو الذي يعترف ضمنياً في بداية سلسلته بأنّه لايُؤمن بوجود حقائق ومُثل إيجابيّة[41].

عِلاوة على أعمال سعيد نُلفي كتاب (ميثولوجيات بيضاء/ كتابة التاريخ والغرب 1990) لكاتبه الإنجليزي روبرت يونغ Rubert Young، والذي عرّض فيه إلى ضُلوع الفكر الماركسي في الخطاب الكولونيالي، حينما أرجع وُلُوج الهند في سياق التاريخ الغربي المتطور إلى الآثار الإيجابية للاستعمار البريطاني – من وجهة نظره – وتجدُر الإشارة إلى حفريات إعجاز أحمدAjaz Ahmed المعرفية في ذات السياق، وقبلهم جميعاً تصدّر الفكر البنابي الدّراسات الثقافية في نقد الاستعمار الجديد، وذلك حينما دعى بن نبي M. Bennabi إلى تعرية الأنساق المتوارية/ نسق القابلية للاستعمار، وكَشَف عن أشكالها الظاهرية وصُورها الباطنية/ المضمرة، في عديد كُتبه[42].

2.3- ما بعد الاستشراق/ الصورة الاستيهامية المتخيلة:

لاشكّ أنّ البحث عن الذات في خطاب ما بعد الاستشراق Post-Orientalism يجد مُفارقته في استحضار اللّاأنا، الذي لايُمكن فهمه هو الآخر إلّا من خلال الذات، وقد بات تمظهر هذين النسقين المتصارعين؛ [المركزي/ الغرب، الهامشي/ الشرق] يفتقد لأي معنى ثابت، وتُعد دراسات إدوارد سعيد عن الاستشراق Orientalism نموذجاً لتعرية العلاقة الثقافية المحتدمة بين الشرق والغرب[43].

سعى سعيد إلى عرض الصورة الاستيهامية المتخيّلة - التي رسمها الإنسان الغربي بما يتواءم وعقليّته الاستعمارية - بُغية إماطة اللّثام عن الوجه الحقيقي للثقافة الغربية الامبريالية التي يُمثّل العنف بنية أساسية فيها من وجهة نظر بعض المفكرين[44].

كان للصّورة المتخيّلة عن الشرق بالغ الأثر في إحكام الهيمنة الاستعمارية على هذا الأخير، ليُصبح مُهمشاً ومُشوّهاً في آن، في ظلّ انتداح الأوهام الثقافية الآخرية التي استأثرت بالهيمنة على الكيان الثقافي للمحيط الهامشي/ الشرقي، دهراً داهرا.

يقول سعيد في كتابه (الإمبريالية والثقافة 1993) الذي يعُدّه الجزء الثاني لكتابه (الاستشراق 1978) ؛ أن نُعيد ربط التجربة بالثقافة، هو طبعاً أن نقرأ النصوص التي يُنتجها المركز الحواضري، وتُنتجها الأطراف قراءة طباقية »[45].

ويُمكن فحص القراءة الطباقية Contrapuntally Reading على المستوى التنظيري في إطار ماتُقدّمه دراسات الحركة المابعدية من طروحات ومفاهيم وسياقات ذات تماس واضح بمفهوم الهيمنة، وبناء على هذا فإنّ القراءة الطباقية ارتبطت بفكرة الهيمنة/ الهيمنة المضادّة[46]، وقد كانت هذه الثنائية بمثابة الدعائم المنبثّة التي يرتكن إليها مفهوم الهوية – من المفاهيم الأثيرة في التأويل الطباقي– في طرح سعيد للجدليّات الشائكة، انطلاقاً من تمثّلات الدّائرة المضادّة للفكر الإمبريالي.

عند الاقتراب من ملامح أديم الثقافة الإمبريالية بعد أن نزيل عنه مساحيق المصطلحات الأثيثة، نُلفيها في تجذّر دائم وتشرنق في الدّائرة المتعالية – وليدة التصورات العدائية السقيمة – قصد تذويب الهويات الثقافية الشرقية في أتون الآخرية.

والأكيد أنّ الاستشراق ماهو إلّا شكلٌ من أشكال الهيمنة الغربية انطلاقاً من النظرة الاستعلائية التي ينظر بها إلى الآخر على أنّه أطراف، بل لاوجود له ولا أصل لحضارته إلّا في كنف المركز/ الغرب، وهكذا أضحى هذا الأخير (الحاضر/ الغائب) في خطاب الاستشراق لما يُضمره من عداء للآخر (الشرق) ودعوة لإلغاء خصوصياته وطمس معالم سياقاته الفكرية والحضارية[47]، وليس بعث وبثّ الثقافة الغربية بدعوى التآزف كما يتوهم البعض.

3.3- مابعد النسوية/ الضلع الأعوج ووهم السواد:

في ظلّ رواج الأفكار التي تحطّ من شأن المرأة، ظهر مصطلح (النسوية Feminism) بالمعنى النقيض لمصطلح البطريركية Patriarchate الدّال على السلطوية الذكورية (الأبوية) التي تضطهد المرأة على أساس أنّها دُون الرجل منزلة، بيد أنّ ما بعد النسوية / Post-feminism /التمركز المضاد – وليدة الفكر الأيديولوجي الذي ينتقد السلطة الذكورية – أعلى صوتاً من الحركة النسوية المطالبة بالمساواة، والتي سينصبّ جُلّ اهتمامها على مُواجهة إكراهات الآخر، علّها ترفع الحيف عن المرأة[48] للانعتاق من قُيود الهيمنة الذُكورية.

قد يُثير هذا الطرح إشكالاً معرفياً يتلخّص مفاده في مدى وعي المرأة بالهُوية البيولوجية والهُوية الجنسية؟ ومدى أنجعية فكر ما بعد النسوية في خلخلة وتقويض الأوهام الثقافية الذُكورية المهيمنة على المخيال الجمعي؟

مُصطلح الجندر/ الجنوسة، الذي صاغه عالم النفس روبرت ستولر Robert Stoller هو أساساً مقولة ثقافية تختلف عن الجنس باعتباره مُعطى بيولوجياً، بحيث يتبيّن لنا أنّ الاختلاف بين الرجل والمرأة مبنى ثقافياً وأيديولوجياً، وليس نتيجة حتمية بيولوجية[49].

ففي حديثها عن أثر الثقافة السائدة في المجتمع، تُفرّق سيمون دو بوفوار Simone de Beauvoir بين الجنس Sex الذي يتحدّد بيولوجياً، والنوع أو الهوية الجنسية Gender الذي يتحدّد أيديولوجياً، في إشارة منها إلى أنّ النظام الأبوي (الذُكوري) هو الذي يُحدّد الفارق الإنساني بينهما، فيجعلها أدنى منه بالفطرة، هَهُنا يتشكّل أساساً نوعٌ من التحقير الذاتي/ Auto-dénigrement[50]، ما يجعلها مسكونة بوهم سلطة الآخرية المطلقة.

كُتب للضلع الأعوج أن يظلّ مسكوناً بوهم السواد/ الوأد المعنوي، الذي يجعل من الذات الأنثوية كتابع أزلي للذكر، بصفته الناسوت الأول، ومن البداهة غمط المرأة وقسرها، لأنّها مبعث كلّ بائقة وشُؤم كما أظهرت الفلسفة الإغريقية القديمة في أسطورة باندورا/ Pandore.

تُخبرنا الأسطورة الإغريقية؛ عن غرّة الخلق/ باندورا، والتي سُلِّطت على الرّجال نكالاً من الإله زيوس على آثامهم، بعد أن سرق بروميثيوس سرّ النار ولقّنه لبني البشر، عندها حاق بهم وصب الآلهة، فأمر زيوس بخلق أوّل إمرأة في التاريخ/ باندورا، ومنحها صندوقاً مُغلقاً لايحقّ فتحه، بيد أنّ الفضول تملك باندورا، ما حملها على خرق الوصية وفتحه، حينها أظلم العالم فجأة بعد أن كان طوباوياً خالياً من الشرور، همّت باندورا لإغلاق الصندوق بسرعة لكن هيهات، حلّت لعنة زيوس «لتغدو المرأة مخلوقاً مأخوذاً بالشر مجبولاً على الخطيئة...بل هي السواد»[51].

ولعلّ ما يُغذّي جُذور الخنوع القابعة في منطقة الظّل المتشظّية للذّات الأنثوية/ اللاوعي الجمعي، هو تلك الأوهام القسرية - المُنثالة من عوالم الإغريق/ وهم السواد/ أسطورة باندورا – التي استأثرت بالهيمنة على المخيال الجمعي ردحاً من الزمن.

- **نُهية القول وصفوته؛**

كان للمُمارسات القرائية الحفرية التقويضية التأويلة التشريحية/ الثقافية - المنكفئة على النبش في مكامن الأنساق القسرية المتوارية التي تبث الفوضى في قلب العوالم المستتبّة/ المحيط الهامشي – بالغ الأثر في خلخلة وتقويض وهم سلطة الآخرية بِمحمولاته النسقية، ومُجابهة إضمارات ومُواربات الأنساق المُخاتلة التي تقف وراء توجيه الذائقة الثقافية.

مراجع البحث وإحالاته:

[1] - ستيوارت سيم وآخرون، دليل مابعد الحداثة (مابعد الحداثة – تاريخها وسياقها الثقافي) ج1، تر: وجيه سمعان عبد المسيح، المركز القومي للترجمة ،القاهرة، ط1، 2011. ص 11.

[2] - وليد إبراهيم قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث / رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007. ص 202.

[3] - المرجع نفسه. ص 203.

[4] - المرجع نفسه. ص 184.

[5] - ينظر: ستيوارت سيم وآخرون، دليل مابعد الحداثة (مابعد الحداثة – تاريخها وسياقها الثقافي)، مرجع سابق. ص 09 -11.

[6]- ينظر: عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر/ مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2005. ص 25- 26- 27- 28 - 29.

[7] - المرجع نفسه. ص 28.

[8] - المرجع نفسه. ص 26.

[9] - وليد إبراهيم قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث / رؤية إسلامية ، مرجع سابق .ص 181.

[10] - ينظر: المرجع نفسه. ص 185 – 202.

[11] - عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر/ مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، مرجع سابق. ص 21.

[12] - وليد إبراهيم قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث / رؤية إسلامية ، مرجع سابق. ص 193.

[13] - ينظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[14] - ينظر: عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر/ مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، مرجع سابق. ص 111.

[15] - ينظر: عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه/ دراسة في سلطة النص، عالم المعرفة، الكويت، 2003. ص 152 – 154. وينظر: عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر/ مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، مرجع سابق. ص 21 – 27.

[16] - عليمات يوسف، النقد النسقي/ تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015. ص 07 -09.

[17] - عبد المنعم عجب الفيا، من التفكيك إلى التأويل/ النظرية النقدية الأدبية – مفهوم الكتابة – موت المؤلف، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية – دمشق، ط1، 2017. ص 283.

[18] - عليمات يوسف، النسق الثقافي/ قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع – إربد، ط1، 2009. ص 168.

[19] - ينظر: عبد القادر فيدوح، المضمر ومجازاته في الشّعر العربي المعاصر، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2022. ص 150 – 151، وينظر، حسن ناظم، مفاهيم الشعرية/ دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994. ص69.

[20] - عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر/ مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، مرجع سابق. ص 107 – 108.

[21] - ينظر: المرجع نفسه. ص 109.

[22] - حميد لحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر/ مناهج ونظريات ومواقف، مطبعة آنفو برانت، فاس، ط3، 2014. ص 203.

[23] - جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء/ المغرب، ط2، 2000. ص52.

[24]- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[25] - حميد لحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر/ مناهج ونظريات ومواقف، مرجع سابق. ص 204.

[26]- المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[27] - ينظر: عليمات يوسف، النسق الثقافي/ قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، مرجع سابق. ص 08، وينظر: المؤلف نفسه، النقد النسقي/ تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 12.

[28] - غرينبلات وآخرون، التاريخانية الجديدة والأدب، تر: لحسن أحمامة، المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع/ مؤمنون بلا حدود للنشر والنوزيع، الدار البيضاء – المغرب/ بيروت - لبنان، ط1، 2018. ص06.

[29] - ينظر: عليمات يوسف، جماليات التحليل الثقافي/ الشعر الجاهلي نموذجا، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004. ص 30.

[30] - عليمات يوسف، النسق الثقافي/ قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، مرجع سابق. ص12.

[31] - عليمات يوسف، جماليات التحليل الثقافي/ الشعر الجاهلي نموذجا، مرجع سابق، ص 30.

[32] - ينظر: عليمات يوسف، النقد النسقي/ تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، مرجع سابق. ص 17.

[33] - بشرى موسى صالح، بويطيقا الثقافة/ نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط1، 2012. ص 08.

[34] - عليمات يوسف، النقد النسقي/ تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، مرجع سابق. ص 15.

[35]- حفناوي رشيد بعلي، مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة/ في ترويض النص وتقويض الخطاب، دروب للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط1، 2011. ص 252.

[36]- عبد القادر فيدوح، تأويل المتخيل/ السرد والأنساق الثقافية، دار صفحات للنشر والتوزيع، سورية - دمشق/ الإمارات العربية المتحدة – دبي، ط1، 2019. ص 157.

[37] - ينظر: سمير الخليل، فضاءات النقد الثقافي/ من النص إلى الخطاب، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط3، 2018. ص 98 – 100.

[38] - ينظر: المرجع نفسه. ص98.

[39] - حفناوي رشيد بعلي، مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة/ في ترويض النص وتقويض الخطاب، مرجع سابق. ص 251.

[40] - المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[41] - ينظر: إدوارد سعيد، السلطة والسياسة والثقافة، تر: نائلة قلقيلي حجازي، تقديم: غاوري فسواناثان، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008. ص 64.

[42] - ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب/ بيروت – لبنان، ط3، 2002. ص 158 – 159، وينظر: يوسف محمود عليمات، النقد النسقي/ تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 19، وينظر: عماد الدين إبراهيم عبد الرزاق، نقد الحضارة الغربية في فكر مالك بن نبي، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، النجف/ العراق، ط1. ص 44- 48 – 49.

[43] - ينظر: حفناوي رشيد بعلي، مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة/ في ترويض النص وتقويض الخطاب، مرجع سابق. ص 229 – 231 – 232. وينظر: أحمد ملحم، تحليل النص الأدبي/ ثلاثة مداخل نقدية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ط1، 2016. ص 112.

[44] - ينظر: أحمد ملحم، تحليل النص الأدبي/ ثلاثة مداخل نقدية، مرجع سابق. ص 112. وينظر: رشيد بعلي، مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة/ في ترويض النص وتقويض الخطاب، مرجع سابق. ص236.

[45] - أحمد ملحم، تحليل النص الأدبي/ ثلاثة مداخل نقدية، مرجع سابق. ص 112.

[46] - ينظر: يوسف محمود عليمات، النقد النسقي/ تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، مرجع سابق، ص 97 – 99.

[47] - ينظر: مجموعة مؤلفين، موسوعة الاستشراق/ معاودة نقد التمركز الغربي، وكشف التحولات في الخطاب مابعد الكولونيالي، تحر: عامر عبد زيد الوائلي/ طالب محيبس الوائلي، ابن النديم للنشر والتوزيع/ دار الروافد الثقافية – ناشرون، الجزائر/ بيروت – لبنان، ط1، 2015. ص 767. وينظر: عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر/ مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، مرجع سابق. ص 06.

[48] - ينظر: أحمد ملحم، تحليل النص الأدبي/ ثلاثة مداخل نقدية، مرجع سابق. ص 103، وينظر: سمير الخليل، فضاءات النقد الثقافي/ من النص إلى الخطاب، مرجع سابق. ص 29، وينظر: حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي ومابعد النسوية، منشورات الإختلاف/ الدار العربية للعلوم، الجزائر/ بيروت، ط1، 2009. ص 16/ 17، وينظر: نادية هناوي، الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية/ الأنثوية) مقاربات في النقد الثقافي، الرافدين/ OPUS PUBLISHERS، لبنان/ Canada، ط1، 2016. ص 22.

[49]- ينظر : حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي ومابعد النسوية، مرجع سابق. ص 44.

[50] - ينظر: أحمد ملحم، تحليل النص الأدبي/ ثلاثة مداخل نقدية، مرجع سابق. ص 105، وينظر: بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعفراني، مر: ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة/ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط1، 2009. ص 62.

[51] - ينظر: مجموعة باحثين، خطاب المرأة/ تساؤلات راهنة وإضاءات فكرية، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، المملكة المغربية – الرباط/ لبنان، ط1، 2016. ص 74، ونادية هناوي، الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية/ الأنثوية) مقاربات في النقد الثقافي، مرجع سابق. ص 171.

مراجع البحث:

1- أحمد ملحم، تحليل النص الأدبي/ ثلاثة مداخل نقدية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الأردن، ط1، 2016.

2- إدوارد سعيد، السلطة والسياسة والثقافة، تر: نائلة قلقيلي حجازي، تقديم: غاوري فسواناثان، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2008.

3- بشرى موسى صالح، بويطيقا الثقافة/ نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط1، 2012.

4- بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعفراني، مر: ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة/ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط1، 2009.

5- حسن ناظم، مفاهيم الشعرية/ دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994.

6- حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي ومابعد النسوية، منشورات الإختلاف/ الدار العربية للعلوم، الجزائر/ بيروت، ط1، 2009.

7- حفناوي رشيد بعلي، مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة/ في ترويض النص وتقويض الخطاب، دروب للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط1، 2011.

8- حميد لحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر/ مناهج ونظريات ومواقف، مطبعة آنفو برانت، فاس، ط3، 2014.

9- ستيوارت سيم وآخرون، دليل مابعد الحداثة (مابعد الحداثة – تاريخها وسياقها الثقافي) ج1، تر: وجيه سمعان عبد المسيح، المركز القومي للترجمة ،القاهرة، ط1، 2011.

10-سمير الخليل، فضاءات النقد الثقافي/ من النص إلى الخطاب، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط3، 2018.

11-عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه/ دراسة في سلطة النص، عالم المعرفة، الكويت، 2003.

12-عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر/ مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2005.

13-عبد القادر فيدوح، المضمر ومجازاته في الشّعر العربي المعاصر، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2022.

14-عبد القادر فيدوح، تأويل المتخيل/ السرد والأنساق الثقافية، دار صفحات للنشر والتوزيع، سورية - دمشق/ الإمارات العربية المتحدة – دبي، ط1، 2019.

15-عبد المنعم عجب الفيا، من التفكيك إلى التأويل/ النظرية النقدية الأدبية – مفهوم الكتابة – موت المؤلف، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية – دمشق، ط1، 2017.

16-عليمات يوسف، النسق الثقافي/ قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع – إربد، ط1، 2009.

17-عليمات يوسف، النقد النسقي/ تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015.

18-عليمات يوسف، جماليات التحليل الثقافي/ الشعر الجاهلي نموذجا، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.

19-عماد الدين إبراهيم عبد الرزاق، نقد الحضارة الغربية في فكر مالك بن نبي، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، النجف/ العراق، ط1.

20-غرينبلات وآخرون، التاريخانية الجديدة والأدب، تر: لحسن أحمامة، المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع/ مؤمنون بلا حدود للنشر والنوزيع، الدار البيضاء – المغرب/ بيروت - لبنان، ط1، 2018.

21-الكتابة والاختلاف، جاك دريدا، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء/ المغرب، ط2، 2000.

22-مجموعة باحثين، خطاب المرأة/ تساؤلات راهنة وإضاءات فكرية، مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع، المملكة المغربية – الرباط/ لبنان، ط1، 2016.

23-مجموعة مؤلفين، موسوعة الاستشراق/ معاودة نقد التمركز الغربي، وكشف التحولات في الخطاب مابعد الكولونيالي، تحر: عامر عبد زيد الوائلي/ طالب محيبس الوائلي، ابن النديم للنشر والتوزيع/ دار الروافد الثقافية – ناشرون، الجزائر/ بيروت – لبنان، ط1، 2015.

24-ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب/ بيروت – لبنان، ط3، 2002.

25-نادية هناوي، الجسدنة بين المحو والخط (الذكورية/ الأنثوية) مقاربات في النقد الثقافي، الرافدين/ OPUS PUBLISHERS، لبنان/ Canada، ط1، 2016.

26-وليد إبراهيم قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث / رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، ط1، 2007.